(ر)

الراجل زي الحمامة، إذا ريِّشت طارت: تعبير تقوله المرأة للمرأة تحثها على تفقير زوجها، وتحميله المسئوليات الكثيرة، وتخليفه الأولاد الكثيرة، خوفًا من أن الزوج يستريح ويغتني فيتزوج غيرها.

راح سبعة اسباتي: تعبير يعني ذهب هباء.

راحت السَكْرَة وجات الفكرة: تعبير يقولونه إذا ذهب وقت اللهو، وجاء وقت الحساب.

راح في شربة مية: تعبير يعني ذهب بأتفه الأسباب، ومثله قولهم: غرق في شبر مية.

راح له لون وجاله لون ثاني: تعبير يعني كلمته كلامًا شديدًا فاحمر وجهه، فذهب لونه الطبيعي، وجاءت حمرة الخجل.

راح يجيب عاليه واطيه: تعبير يعني سيجعله رأسًا على عقب.

راسه راس مَنْسَر: المنسر جماعة اللصوص، وهم دائمًا متيقظون، شديدو المراقبة لما يجري حولهم، تقال للشخص إذا كان متيقظًا سريع الانتباه قليل النوم.

الراية: يكثرون من استعمال الرايات الحمراء الخضراء للدلالة على الفرح، تمييزًا له على المتيم، وإذا لم يقيموا صوانًا علقوا رايتين كبريتين على باب البيت للدلالة عليه.

ويستعملونها في الموالد، وإذا كانت عصاها كبيرة سيمت بيرقًا.

وعندهم عقيدة أن هناك بيرقًا يسمى بيرق النبي، يستخرجونه إذا جد الجد، وحزب الأمر، وفي هذه الحالية يحمله عظيم وينشره، فيلتف حوله الناس، كما فعل السيد عمر مكرم في حرب المصريين مع الفرنسيين وكانوا يعتقدون أنه عند السلطان عبد الحميد بيرق نبوي إذا نشره وجب على كل مسلم الخروج للجهاد.

الرَّبط: الربط عمل سحري يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية، ولذلك يلجأ المربوط إلى هذا الشيخ أو شيخ آخر، يحل هذا الربط، فإذا حلَّ الربط عاد الرجل إلى طبيعته الأولى.

ويكثر ذلك في القرى، ويسمى المصريون الحكام القابضين على زمام الأمور أهل الربط والحل، وأحيانًا أهل الحل والعقد. ويسمون الأولياء الذين يتولون حكم

الأقاليم في زعمهم أهل الحل والربط أيضًا.

ربنا ياخده: تعبير يعني يميته، ومن الحكايات المشهورة أن أميرًا طلب من وزيره أن يحضر له قريبًا لله، أي من أقربائه فلم يستطع الوزير، وذهب إلى قهوة الحشاشين وهو منكود حزين، فسأله أحدهم: لماذا أنت حزين؟ قال: إن الملك طلب مني أن أحضر له قريبًا لله، فلم أستطع، فقال الحشاش: خذني إليه، قال الوزير: أتعرف العاقبة؟ قال: نعم، بس خدني إليه، فذهب به إلى الملك، فقال له: أتعرف قريبًا لله؟ فقال: أنا، قال: كيف ذلك؟ قال: كان فيه راجل له بنتين، ربنا خد واحدة، وأنا تجوزت الثانية. كأنه بذلك صار عديلًا لله، وهكذا تروى عن الحشاشين مثل هذه الحكايات في حل المشاكل العويصة.

ربنا يقصر ليلته بالعافية: تعبير يعني من العادة أن المريض يطيل الليل، فالدعاء بقصر الليل، معناه العافية.

الرتب: هي الألقاب التي يعطيها الخديوي أو نحوه لمن أراد أن ينعم عليه، من بيك درجة ثانية، وبيك درجة ألوى، وباشا. ومثل الرتب العسكرية كالصاغ واللواء والفريق ونحو ذلك، وقد كانت هذه الرتب مستعملة في عهد إسماعيل وتوفيق، ولكن رتبة «الأفندي» كانت أعظم مما هي اليوم، ولذلك كان النساء إذا عظمن سيدة قلن: إنها الست أم الأفندي، لا يقلن أم البيه ولا الباشا.

وفي عهد الخديوي عباس أصبحت الرتب فوضى، ولها سماسرة يقبضون شيئًا لأنفسهم وشيئًا لغيرهم، وحدد تقريبًا سعر لكل رتبة يدفعه الطالب، فلرتبة بيك من الدرجة الثالثة ٢٥٠ جنيهًا، والثانية من لقب بيك ٣٠٠ جنيهًا مصريًّا، وذلك أيام كان الجنيه جنيه، حتى ضجَّ الناس من ذلك.

وألغتها أمريكا، ولم يبق لها شأن إلا في مصر وشرق الأردن، وخاصم الإنجليز الخديوي في شأنها، وخصوصًا بعد أن أراد الخديوي الإنعام برتبة على موظف في ديوان الأشغال كان قد رفت للاختلاس، وتدخل اللورد كرومر في الأمر، وكلف بطرس باشا غالي إلغاء الرتبة، فألغيت بعد أن نشرت في الوقائع المصرية، بدعوى أنه حدث خطأ في الاسم، وهكذا من

الفضائح. وقد ألغت العراق والشام هذه الألقاب بعد أن ألغاها الغرب وألغتها أمريكا.

واليوم نحمد الله على إلغائها فقد كانت سببًا من أسباب الفساد وتمييز الطبقات. وللصوفية رتب تشبه رتبة المدنية، فالمريد والشيخ والمتولي والقطب والغوث إلخ. ولكل اختصاصه.

رجع قفاه يقمر عيش: تعبير يعني رجع خجولًا لم ينجح في مهمته.

رجله اتلوحت: تعبير يعني أنها التوت.

رحنا وجينا بالسلامة: يغني بها السيدات كثيرًا.

رد البدع: تعبير يعني أنه مصدر لأشياء كثيرة عجيبة، ومثله قولهم بخ حشيش، يقولونها للولد أو البنت إذا كانت من نسل حشاشين، يعمل عملهم.

رضا الوالدين: يعتقد المصريون اعتقادًا جازمًا أن من أهم أسباب سعادة الإنسان موت والديه، وهما راضيان عنه، فإذا لم يرضيا أو رضي أحدهما ولم يرض الآخر، كان ذلك سببًا للشقاء، ولذلك إذا رأوا رجلًا موفقًا في الحياة ناجحًا قالوا: «يستاهل» أبوه وأمه داعيين له، وإذا رأوا فاشلًا في الحياة شقيًّا قالوا: «أبوه وأمه غضبانين عليه». ولهم في ذلك أمثلة كثيرة.

وقريب من هذا ما يعتقدون أن ما تفعله المرأة مع حماتها تفعله زوجة ابنها معها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، ويحكون أيضًا على ذلك القصص الكثيرة التي لقيت فيها الحماة الجديدة ما فعلته مع حماتها.

وقريب من هذا أيضًا ما يعتقدون من أن الرجل أو المرأة ارتكبت جريمة ارتكبت معه مثلها، ومن ذلك قولهم: «القاتل يُقتل ولو بعد حين» واعتقادهم أن من زنا بامرأة زُني بامرأته، ومن غزال امرأة غوزل بامرأته، وهكذا.. وهو اعتقاد قديم كالقصة التي روتها ألف ليلة وليلة: «دقة بدقة، ولو زدنا لزاد السقة».

الرقص: للمصريين نوع من الرقص يخالف الإفرنجي، والرقص المصري أكثر تحريكًا للشهوة، وربما شابهه بعض الشيء الرقص الأسباني؛ لأنه ربما أخذوه عن العرب، ويسمونه أيضًا الرقص البلدي، وقد أخذ المصريون نوعًا من الرقص الإفرنجي وأحلوه في مدارس البنات وسموه بالرقص التوقيعي. ويتميز الرقص

الإفرنجي أيضًا بأنه رقص نساء مع رجال، أما الرقص البلدي فهو رقص نساء وحدهن، أو رجال وحدهم.

واشتهر بين المصريين رقص العوالم، ورقص الغوازي، ورقص المحترفات، وهو على العموم رقص فظيع لما تثيره حركات المرأة من الشهوة، والمصريون إذا نظروا إلى هذا الرقص لا يخجلون منه ولا يستحيون، ويعدونه من وسائل الفرج والابتهاج، وهو منتشر في البيوت فيتعلم بعض الفتيات من النساء الرقص، ثم يرقصن وحدهنَّ مع صواحبهن من غير أن يكون معهنَّ زوج أو أب أو أخ، ثم هؤلاء العوالم أو الغوازي لا يجدن الرقص إلا مع توقيع موسيقى؛ لأنه يضبط حركتهن؛ فالعوالم وأمثالهن يرقصن، والرجال أو النساء خلفهن أو جانبهن يوقعون على الآلات الموسيقية لهنَّ، فإذا كانت الحفلة حفلة نساء فقط، وقع بعض النساء على طبلة أو دربكة أو نحو ذلك، ومن حين لآخر توزع على العوالم والموسيقيين أقداح الخمر وكثير منهن يسرفن في الشرب فيقعن مغمى عليهن، وكثير منهن فتيات جميلات، وفي المحلات العامة بعد أن يرقصن يجلسن مع الرجال، أو على حجورهم ويناغشنهم، ويبلغ بعضهن بالرقص إلى أنواع الفجور، وهن يلبسن ألبسة خاصة، كثيرًا ما تُحلَّى بالترتر ليلمع في ضوء الليل.

وتتميز ملابسهن بأنها تظهر جسم المرأة على حقيقته، وهنَّ في العادة يحتفظن بثبات السيقان، وتحريك الوسط أو الأرداف، وأحيانًا يحركن أذرعتهن على شكل دائرة، وهناك نوع من الرقص يسمى «رقصة النحلة» فتزعم الراقصة أن هناك نحلة حلت في ملابسها، وتتحرك حركات كأنها باحثة عن النحلة، وهي ليست إلا مخيلتها، فإذا لم تجدها خلعت ملابسها شيئًا فشيئًا بدعوى أنها تبحث عن النحلة، حتى تتعرى تمامًا ولا يسترها إلا ستار بسيط، والسناء حولها يصفقن ويقلن: النحل يا هو...

ومن الرقص رقصة تسمى رقصة الصلاة، فتبدأ كبيرة الراقصات بأن تقول: الصلوات وتزعم الراقصة أنها تصلي، وتتشبه بالمصلين والمصليات، وهي إذ ترقص تقول: بصلي بصلي، صبح بصلي،

ظهر بصلي، عصر بصلي، والنبي بصلي، يا خويه بصلي.. إلى أن تنتهي الرقصة.

ومن المناظر الشائعة التي يحرص بعض الأجانب السائحين على رؤيتها منظر هذا الرقص البلدي، حتى أحيانًا تجد الراقصة المشهورة ربحها الكثير في أن تسافر إلى أوربا وأمريكا لعرض مناظر الرقص البلدي.

والمحترفات من العوالم والغوازي يجلبن في العادة ثروات كبيرة من النقوط ومن الأجور. وفي عهد محمد علي كانت الغوازي يرقصن في الشوارع فيثرن شهوات المارة، فصدر أمر بمنعهن من الرقص في الشوارع، فحبًّا في الرقص كان يرقص بدلهن الخولات، وهم طائفة من الرجال فقدوا رجولتهم وتأنثوا في كلامهم وحركاتهم فكانت البلوى أفظع والمنظر أسمج.

وبتغير الزمان نظر إلى الراقصات نظرة لا بأس بها، على أن رقصهنَّ فن جميل، وأخذ الرقص البلدي ينكمش شيئًا فشيئًا ليحل محله الرقص الإفرنجي على الجاز بند.

رُقية: الرُّقية تعويذة يستعاذ بها من الشر وقد تكون الرقية من عين حاسدة، ولهم في ذلك طرق كثيرة؛ من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق في النار وتُتلى عليها التعويذة.

ومن الرقى المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح في كيس صغير ويعلق في رقبة الأطفال، وهناك رقية خاصة تقال في أيام عاشوراء، وهي في العشر الأولى من المحرم، فتعدد الأشياء التي في البيت، وتضاف إليه التعويذة، حتى لا تحسد، وهناك رقيات كثيرة لا داعي للإطالة بذكرها، ومن ذلك تسميتهم «رُقية»، وهي تصغير رقية.

الرقيق: كان الرقيق منتشرًا في مصر، وكان أنواعًا؛ منه ما هو أسود وهو أقل قيمة، ومنه ما هو أبيض، وكان يستعمل في الطبقات الراقية، وأذكر أن والدي كان قد اشترى جارية سوداء بـ (خمسة ونتو) ولكن لم تطق والدتي بقاءها لغيرتها، فاضطر والدي أن يبيعها.

وكان قصر عابدين في عهد الخديوي إسماعيل مملوءًا بالجواري البيض، لكل زوجة من زوجاته عدد كبير من هؤلاء الجواري، ولهنَّ ألقاب وأعمال، فطائفة منهنَّ كانت تسمى القلفاوات، ومنهن من

وظيفتهنَّ تنظيف البيت أو تدبيره، أو تقديم القهوة عند غياب الخصيان ونحو ذلك. وكانت السراي ترسل إلى استامبول من يختار هذه الجواري.

وفي آخر عهد إسماعيل وزعت الجواري التي في السراي على كبار الموظفين والأغنياء، وكان الخديوي يمنح كل جارية تتزوج مقدارًا من المال تتجهز به في حدود خمسمائة جنيه ذهبًا. وبعض النسل من البيوتات الكبيرة اليوم من هؤلاء الجواري، وفيهن في الغالب العنجهية التركية والأرستقراطية التي عهدناها.

وكانت هذه الجواري الشركسيات مستبدات بأزواجهنَّ، لا يرضين حتى يخضعنهم لأوامرهنَّ، وقد حدثت حوادث طلاق من هذا القبيل بسبب استبدادهن، وكان أزواجهن يلاقون عذابًا شديدًا بسبب طلاقهن، وأعرف حادثة غريبة في هذا الباب، وهي أن شابًّا جميلًا مُنح امرأة شركسية من هذا القبيل، وكان يحضرها في العادة إلى بيت الزوج أغا من أغوات السراي فلما كشف عن وجهها وجدها عجوزًا شمطاء شوهاء مسلولة، فخطر له في الحال خاطر غريب، وقبَّل يدها بدل أن يقبلها، وجلس أمامها باحترام، فاندهشت وسألته عن السبب، فقال: إن أبي كان تركيًّا، وقد وصف لي عمة تركية وصفًا دقيقًا ينطبق عليك، ولذلك أحترمك كعمتي قالت: إنه ليس أخ، ولكنه أصر، وما زالت تكذب هذا الخبر وهو يصر حتى يئست منه ودعت الأغا فأخذها وذهب بها إلى السراي، فغضب الخديوي واستدعاه، وما زال يلح عليه في قوله الحقيقة حتى قالها، فضحك الخديوي وأعجب بذكائه، واختار له جارية أخرى شابة من شباب القصر جميلة.

وكان في القاهرة أسواق كثيرة لبيع الرقيق بنوعيه، ومن أشهرها دار قريبة من باب الخلق يشرف على كل بيت منها نخاس وله مساعدون؛ والمشتري للجارية له الحق في تقليبها كما يشاء، حتى في كشف عورة الأنثى، وبعضهم كانوا يضعون الجارية في طشت مملوء ماء ليعلموا إن كان جسمها يمتص الماء أم لا.

ولكن والحق يقال: كانت معاملة المُلاك للرقيق معاملة حسنة، فكانوا يعتبرون كأحد أفراد البيت، وهن من جانبهن كن

يخلصن لأسيادهن، ولكن لا ننسى أنهن كن أحيانًا سببًا لشقاء البيت، فقد كان مباحًا للرجل طبقًا للشريعة الإسلامية أن يتصل بجاريته، وكان هذا مثارًا للزوجة الحرة، وكثيرًا ما ينسل من الحرة ومن الجواري فيكون العداء بين الأولاد، وبذلك يكون البيت شُعلة من نار.

وأخيرًا أبطل الإنجليز عادة الاسترقاق وحرروا العبيد والإماء وقاوموا الرق بعنف، حتى أنهم انتقموا من شريف باشا انتقامًا شديدًا، وقادوه إلى المحاكمة بسبب شرائه لبعض الجواري بعد صدور القانون بإلغاء الرقيق، وأهانوه إهانات كبيرة ظاهرها أنهم يحافظون على الحرية وباطنها أنهم يشفون غليلهم من موقفه السياسي الذي كان يناهض به سياسة رياض باشا؛ فقد كان رياض باشا يتهم بمسألة الإنجليز، أما شريف باشا فكان لا يبالئهم ويطالب بالدستور ونحو ذلك.

فكانت هذه الحادثة فرصة للانتقام منه.. ومع هذا فقد خوَّفت كبار المصريين ومتوسطيهم من امتلاك الرقيق.

ويسمى المصريون تجار البيض «الياسرجي» وتجار السود « الجلابين».

وفي بعض الأحيان كان الياسرجي هذا يعمل عمل القوادين، فيختار أجمل الفتيات لفاسدي الأخلاق من الأغنياء، ويرسلهن إليهم بدعوى أنهم يرونهن ليشتروهنَّ، وبعد أيام يردونهن بدعوى أنهن لم يعجبن ويقوم بهذا العمل في العصور الحديثة بعض المخدمين.

الرك: يقولون في كلامهم «الرك على الدواق» أي إن ما أنادي عليه حلو، فإذا شككت في حلاوته كان الحكم بيننا الذوق، وأكثر ما يستعمل في النداء على الجميز، ويقولون: «الرك في هذه المسألة على فلان» أي أن فلانًا فيها ذو أهمية كبرى فهو الذي يستطيع أن ينجحها أو يفشلها، ولا نعرف أصلها اللغوي، ويقولون: «حطيت ركي عليه» أي وضعت كل أمنيتي فيه، وفلان عليه الرك، أي واقعة عليه المسئولية!!

ركبها ميت عفريت: تعبير يعني أنها غضبى.

الركة: يزعم بعضهم أن الركة في لسان العجائز قطعة من الخشب ينفض عليها الكتان، وكان يعهد بها إلى النساء، فكن يجتمعن حول الركة هذه للقيام بما فرضه

عليهنَّ أزواجهن أو أسيادهنَّ، وكل امرأة تصف وصفة نجحت في الشفاء.

ومن ثَمَّ سمي الطب المستند على وصفات العجائز «طب الركة» وقد ألف فيه بعض الكتب.

رمضان عشرات عشرات: عشرة مرق، وعشرة حلق، وعشرة خلق؛ أي أنهم يعتنون في العشرة الأولى بالأكل، وفي العشرة الثانية بعمل الكحك، وفي العشرة الثالثة بتحضير ثياب العيد.

الرهن: ينتشر بين الفلاحين الرهن، وقدا عتادوا أن يرهنوا أرضهم فيضع المرتهن يده على الأرض ويستغلها، ومنه النوع الذي يسمى بيع الوفاء، فإذا مضت المدة المعينة ولم يدفع الراهن ما عليه ملكه المرتهن، وقد يكون الرهن على نصف الثمن أو أقل من ذلك، فتضيع الأرض على صاحبها.

وكان في القاهرة دكاكين كثيرة أكثرها للأرمن مملوءة بنحاس مرهون أو صيغة، أو نحو ذلك.

روح بأه لحالك: تعبير يعني أيُّ شيء لك عندي.

روضة المدارس: ربما كانت روضة المدارس أولى المجلات الرسمية؛ فقد أنشأتها وزارة المعارف، واستكتبت فيها كثيرًا من الكتاب، وكانت عنياتها كبيرة ببابين سمجا اليوم، وهما الألغاز، والتواريخ في آخر شطر من القصائد، ومن أحسن ما فيها أنه كانت تقال في إحدى القاعات بعض محاضرات قيمة في شتى العلوم، ثم تنشر هذه المحاضرات في المجلة، وكانت تختار في كل حين وآخر كتابًا حديثًا تنتشر منه ملزمة كل أسبوع لتجمع هذه الملازم فيما بعد في كتاب مستقل.

وكان يرأس تحريرها في بعض أوقاتها علي فهمي رفاعة، وقد خدمت مجلة روضة المدارسة العلوم والفنون عهدًا طويلًا ، قبل أن تعرف مصر المجلات الحديثة، وهي تدل على الحركة العلمية والأدبية في ذلك العصر.

ريقه نشف: تعبير يعني أنه ألح في الطلب ولم ينجح.

(ز)

زاد به الحد: تعبير يعني طغى عليه الأمر.

الزار: تسمى شيخة الزار الكُدية؛ فتقوم الكدية وتضع كرسيًّا في وسط المجلس وتجلس عليه صاحبة المنزل الذي أقيم لها الزار، وتحضر فرختين وديكًا، وتربط أرجلها، ثم تضع الديك على رأسها والفرختين على أكتافها، ثم تتلو قراءات معهودة، وتنشد أناشيد، والفراخ تقابل نشيدهن بالزعيق وجميع الحاضرين يقلن: «دستور يا أسيادي، مدد يا أهل الله يا أسيادي» والكدية وأعوانها يضربن بالدف وينشدن الأناشيد على نغمات مختلفة، ثم يقربن من صاحبة المنزل ويسرعن في الدق وصاحبة المنزل هذه تركع أمام الضاربات ثم تجيء إحداهن معها ملابس الأسياد، وهي عباءة مزركشة بالقصب وطربوش مكلل باللؤلؤ، وسيف وخنجر ملبسان بالفضة، فتتقلد السيف وتمسك الخنجر بيدها، وتقف متمايلة أمام ذلك الجمع، والآلات تضرب، والأناشيد تنشد؛ ثم تقف صاحبة المنزل، وتقول: السلام عليكم، فيقال لها: أهلًا وسهلًا، من أنت؟ تقول هي: أنا الشيخ عبد السلام، مثلًا، فتضرب حين ذلك على الدف نغمات تسمى الشيخ عبد السلام، فترقص صاحبة المنزل رقصًا عجيبًا يناسب الشيخ عبد السلام؛ حتى إذا فرغ الدور قامت الكدية، وكبست صاحبة المنزل فينصرف الشيخ عبد السلام إلى حاله، ثم تدعي صاحبة المنزل أنه قد لبستها زوجة الشيخ عبد السلام، فتقول بصوت رفيع: السلام عليكم يا ستات! فيحضرن لها ملابس نسائية تناسب زوجة الشيخ عبد السلام، كل بدلة من الحرير، ولها لون خاص، وخواتم وخلاخيل وأساور، ثم يضربن لها الضربات التي تناسب الشيخ عبد السلام؛ وكل ذلك وهم في وهم.

ولنذكر الآن بعض الأناشيد المستعملة في الزار:

١ - فاتحة الحفلة والصلاة عليه، صلوا عليه، النبي العربي، صلوا عليه...

ماما الهدى، آه يا ماما، بدر التمام يا محمد، نصبوا الكراسي لماما، برّ السماح لمامام، برّ الهدى يا ماما، صاحب العوايد ماما، صاحب الدبايح ماما، نصبوا الميدان يا ماما، آه يا زهر الورد يا ماما... إلخ.

٢- سلام على أم غلام، يا مرحبة يا أم غلام، سلام على أم غلام، يا مرحبة بأم غلام، ردو السلام على أم غلام يا بنت ماما يا أم غلام؛ يا أم الغلام والعفو منك، يا أم الغلام بيني برهانك، يا أم الغلام واشفي عيانك، يا أم الغلام والطبل طبلك، يا أم الغلام والليلة ليلتك.

الزايرجة: يستعينون بها على عمل التنجيم، وهي جدول ينسب إلى إدريس، ويقسم الجدول إلى مائة خانة صغيرة في كل منها حرف ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة وآية: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها} إلخ... ويضع بعد أن يغمض عينيه إصبعه على الجدول فيقع على حرف، فيقيده ويدون الحرف الخامس بعده، والحرف السادس بعد الحرف الثاني له؛ وهكذا حتى يكون جملة يقرؤها لتبين الطالع... ولهم فيها تعاليم كثيرة لا حاجة لذكرها.

الزبرجد: الزبرجد حجر من الأحجار الكريمة أحمر، أكثر ما يستخرج من جزيرة بالبحر الأحمر تسمى جزيرة الزبرجد، وقد كان الزبرجد يسرق من الجبل، حتى تعاقد جماعة في سنة ٩٠٥ من بينهم عبد الرحمن بك كامي من أعيان السويس، ومسيو مكسيوس، على أن يستخرج الطرف الأول الزبرجد ويرسله للأخير لبيعه في جنيف، على أن يأخذ ثلاثين في المائة من الأرباح الصافية، وعلى أن يتعهد الطرف الثاني بأن يفحص المناجم، ويتصرف فيها بما يراه ملائمًا، ويتولى بنفسه طلب امتياز استخراج هذا المعدن والبحث عنه.

وقد كان المصريون يستعملون الزبرجد في حليهم كثيرًا، ولذلك كانت تجارته تجارة رابحة.

الزجل: نظم من الشعر العامي على أوزان خاصة، وقد كثر عند المصريين الزجل، وتنوعت أشكاله. وللمصريين أزجال ظريفة، خفيفة الروح خفيفة الوزن، واشتهر منهم في الأيام الأخيرة الشيخ النجار، والشيخ القوصي، وعبد الله نديم، وحسن الآلاتي، وإمام العبد وغيرهم. ولطائفة من العوام، وهم المسمون «بالأدباتية» أزجال لطيفة يسألون بها الناس؛ ويقولون بعضها ارتجالًا، ولعبد الله نديم قصة مشهورة في مولد السيد أحمد البدوي، إذ جاءه بعض الأدباتية هؤلاء فنازلهم بالزجل حتى غلبهم كما تقدم، ولا نطيل في ذكر أمثلة منها، فله كتب معروفة.

الزراعة: الزراعة هي الحرفة الأولى للمصريين من قديم الزمان، وأما ما عدا ذلك من تجارة وصناعة فثانوية بالنسبة لهم، وإذا كان القيام بالزراعة قديمًا أتقنها الفلاحون على مرِّ الأيام فهم يتقنون الزراعة ولوازمها، ويساعدهم في ذلك جودة الأرض وسهولة زرعها، ولكنهم مع الأسف يلتزمون الزراعة على الأنماط القديمة، من غير أن يدخل العلم الحديث تحسينًا كبيرًا؛ فالآلات الزراعية لا تزال هي الساقية والشادوف، ولا يزال في ريهم وحرثهم ودرسهم وبذرهم يسيرون على النمط القديم.

ولم تدخل الآلات الزراعية الحديثة إلا في أطيان الأمراء، والأغنياء، والمنتظر أن تعم هذه الآلات.

والفقراء عادة يعتمدون على النيل في الري، ولكن هذا لا يكفي إلا الزراعة النيلية، فاتجهوا أخيرًا إلى الآبار الارتوازية، ولا لزوم لوصف الزراعية وآلاتها، فهي معروفة عند الكافة، والزراعة عادة تنقسم إلى قسمين: يسمون أحدهما زراعة شتوية، كالقمح والشعير، والفول، والعدس، والترمس والحلبة، وزراعية صيفية؛ كالقطن والذر والأرز والكتان، وأهم ما يزرع الآن القطن؛ وقد أدخله محمد علي باشا على زراعة مصر فأتت الأرض بخير أنواعه. ولا يزال يعد المحصول الأول، والقمح هو المحصول الثاني.

وإذا كان الفلاح شقيًّا تتوالى عليه المظالم من كثير من العمد وشيوخ البلاد الملتزمين والصرافين والكشافين والوجبات والمال نحو ذلك من قديم الزمان، ورث أهل مصر الذل لأن أكثر البلاد حتى المتعلمين أبناء فلاحين، فللفلاحة أخلاق خاصة استلزمها نوع المعيشة.

وفي الأيام الأخيرة زاحمت الصناعة الزراعية فتغير تبعًا لذلك خلق الأهالي (انظر فلاح وكشاف وملتزم ووجبة). وكثيرًا ما تصاب الزراعة وخصوصًا القطن بدودة صغيرة تتلف محصولة قليلًا أو كثيرًا، وتأمر الحكومة الأهالي بتنقيتها قبل استفحالها؛ لأنه على محصول القطن تتوقف ثروة البلاد، ولم يعن من عهد محمد علي إلى الآن بدراسة هذه الدودة علميًّا وكيف يقضي عليها.

والفلاحون لا يزالون يعتقدون أن الزراعية إذا نجت من الدودة فمن الله،

وإذا ساءت فمن الله؛ ويسمون ذلك ندوة، وهم معذورون في ذلك بعض العذر؛ لأنهم يشاهدون أنه قد يكون هناك قطعتان متجاورتان من الأرض تنجح إحداهما وتسوء الأخرى.

ولكن الحكومة تعتقد أن من نجحت منهما فلسبب علمي، ومن لم تنجح فلسبب آخر علمي، ومع ذلك فلم تعتمد الحكومة على أخصائيين يعرفون أسباب الدودة وعلاجها.

زَغَرْ له: بمعنى حدَّق فيه.

الزغرودة: اعتاد النساء في مصر أن يزغردن عند المناسبات السارة كوجودهن في الفرح، أو عند سماعهنَّ خبرًا سارًّا، أو لرؤيتهن المحمل على جمل، وإذا حضر حاج من الحجاز أو نحو ذلك.

ولهم في الزغرودة طريقة يلعب فيها اللسان، فيفهم من لم يسمعها أن هناك شيئًا سارًّا حدث.

وهن يسمين النغمة الأخرى الحزينة «صواتًا» وربما كانت الكلمة تحريفًا عن الأصوات؛ وهي نغمة أخرى يعلم من سمعها أن هناك حادثة وفاة أو خبرًا محزنًا.

والأذن المصرية يمكنها أن تفرق بين الصوتين بسهولة، فتعلم أن هذا دليل على فرح أو حزن، وعلى كل فالصوت سواء كان صوت زغرودة أو صوت صُوات يحمل الناس المتجاورين من رجال ونساء على تجمعهم لاكتشاف سر الخبر.

زقزقت عصافير بطنه: تعبير يعني جاع.

زَكِّي عن جمالك: تعبير لطيف، يقال للسيدة أو الآنسة إذا كان عندها جمال فيجب أن تزكي عنه بالوصال كما يزكي عن كل مال.

الزلزال: يعتقد بعض العوام أن الدنيا طبقات ترابية على طبقة مائية، وأن هذه الطبقة المائية على طبقة صخرية، والطبقة الصخرية، محمولة على ثور ذي قرنين، يحمل هذه الطبقات على قرن واحد، فإن تعب من حملها نقلها إلى القرن الثاني وهذا الانتقال يسبب الزلزال، وهنا ينتقل الذهن إلى الثور الذي يحمله فيقولون: إنه محمول على القدرة.

ومن لطيف ما في الأمر أن صديقًا كان له صديق ذو بغلة، وكانت البغلة رديئة فقال له:

لـــــك يـــــا صـــــديقي بغلـــــة
ليـــــست تـــــساوي خَرْدلـــــة
تهتـــــز وهـــــي مقيمـــــة
فكـــــأنما هـــــي زلزلـــــة

الزمان معاندني: تعبير يعني أن الحوادث تجري على غير ما يأمل.

الزَّمن معاكِسْ: تعبير يعني أن الزمن لا يساعده على إتيان عمله، بل يعاكسه حتى لا يعمله.

الزنا: يقولون فلانًا ابن زنا، أي أنه خبيث شرير، والعامة تعتقد أن ابن الزنا يأتي شريرًا خبيثًا، وهم يقولون أيضًا: ابن الزنا إما قواس أو مَكَّاس، وهما وظيفتان دنيئتان.

فالقواس هو السايس الذي يجري أمام فرس سيده ويصيح لإفساح الشارع له، وأحيانًا يكون السائس له أبناء العرب والسيد تركيًّا فيصيح السائس بكلمات في سب سيده، فقد بلغني مثلًا أن السائس الذي كان يجري أمام قاسم باشا ناظر الحربية كان يقول بأعلى صوته: أوعى يا واد التور السناري جاي.

ويوجد إلى الآن من يطلقون عليه اسم قواسين يجلسون من الحجاب، ويلبسون ثوبًا من البفتة مصبوغًا بلون أزرق وتقتصر وظيفتهم على قضاء مصالح وقتية داخل ديوان المديرية أو ديوان المركز.

وهذه الوظيفة آخذة في التلاشي، خصوصًا وقد كرهها الأوربيون وعدوها عادة همجية وحشية، وهذا المثل وضع أيام سلطة هاتين الوظيفتين، فكان القواس يلازم باب الرئيس من أكبر مصلحة إلى أصغرها، وكان يطلع على أسرار الرئيس كلها كما يطلع السكرتير الخصوصي، وكثيرًا ما يكون الواسطة بين الناس وبين الرئيس في أخذ الرشوة، وإنهاء العمل مع الحاكم.

وكان في القرى يشمخ بأنفه ويتعجرف في كلامه، ويتجبر ويسب اعتمادًا على سلطة سيده. وإذ كان الحاكم في القديم حاكمًا مطلق السلطة فقد كان قواسه صورة مصغرة من سيده.

وأما المكاس فهو مأخوذ من المكس، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق، ويطلق اسم المكاس في الوقت الحاضر على أولئك الإخوان الذين يقفون عند مدخل المدن لجباية الضريبة المفروضة على ما يدخلها من حاجيات الغذاء؛ وكان

اسمها الرسمي الدخولية، وكان فيها كثير من الظلم والجور والعسف والغش.

وقد أدركتها في آخر أيامها، وكان أبي - رحمه الله- يشتري من الإمام الشافعي الفراخ، ويشتري البيض أربع عشرة بقرش صاغ، وكان عند الإمام مكاس يلبس بدلة زرقاء، وكان يعتقد في أبي الصلاح، فإذا وصلنا إليه سمح لنا بالدخول من غير ضريبة، وهذه كانت مكسبنا، ثم أبطلت تلك العادة، وقد كان منهم سفلة يعرون النساء بدعوى أنهم يفتشون لعل في لباسهنَّ شيئًا مهربًا، ويحسسون على بطن الحبلى ليتحققوا إن كان في بطنهن جنين أو شيء مما تؤخذ عليه الضريبة، ولهذا اعتبرهم اليهود أمام دولتهم أنجاسًا، وسموهم العشارين، ولم يسمحوا للمكان أن يدخل الهيكل أو أن يشهد المجالس؛ ولهذا قالوا في المثل: إن ابن الزنا إما قواس أو مكاس، وأراحنا الله من القواسين والمكاسين.

وللزنا أساليب مختلفة، وللنساء فيه حيل غريبة، وقصص عجيبة، وقد كثر في مصر لحرارة الجو وقوة الشهوة البهيمية، ولم يمنع منه حجاب أو سفور، وقد كان هناك في المدن بعض أحياء للعاهرات تعطيهن الحكومة ترخيصات، وأخيرًا ألغتها وحرمتها بعد أن أعدت العدة لتسريحهن.

الزواج والطلاق: الزواج عادة شائعة في جميع الأمم، وقد اشتهر عن المسلمين تعدد الزوجات؛ ولكن والحق يقال: إن تعدد الزوجات بين الطبقة الراقية والوسطى قليل في مصر، ولا يفشوا إلا في الطبقة الدنيا، وكان لا يصح في عُرف المصريين أن يرى الزوج زوجته قبل زواجها، ولكنهم يرسلون الخاطبة، وقد يرسلون أمهاتهم أو أخواتهم لرؤيتها، حتى إذا ارتضينها يرسل الزوج الشبكة، وهي هدية قبل العقد، ثم يعقد العقد، وحينئذٍ يحل له أن يراها.

وجرت عادات قبل الزواج في إقامة العرس، منها ليلة الحنا وليلة الدخلة، وسنذكرهما في محلها.

والزواج يختلف اختلافًا كبيرًا بين الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة، فإذا كانت الطبقة غنية بالغ أصحابها في نفقات الأفراح وبذل الأموال من غير حساب، سواء في المآدب أو معالم الأفراح، ولا يكتفون بليلة الدخلة بل يقيمون ثلاث ليلالٍ قبلها.

وكان العريس يجمع في منزله قبل يوم الزفاف أصدقاءه الأخصاء ممن يجيدون الغناء والعزف على الآلات الموسيقية، ويسمون هذه الليالي ليالي الضممة. وفي ليلة الزفاف يرسل العريس العربات الفخمة مع والدته لأخذ العروس من بيت أهلها، وتكون العربة المخصصة لها مزينة بالشيلان الكشميري، والورد والأزهار، يجرها اثنان أو أربعة من جياد الخيل، ويخفرها اثنان من الفتوات، وأحيانًا من رجال مخصصين لذلك يسمون الضوية؛ وهما يرتديان شيلانًا من الكشمير، ثم تتقدم والدة العريس على العروس لتقودها إلى المنزل، ثم تتلوها والدة العروس؛ ويسير هذا الموكب خلف الموسيقى في بعض الشوارع الهامة، ثم يعرج على منزل العريس، فيتقدم العريس لاستقبال عروسه فتتأبى وتمتنع؛ ولا تنزل إلا بعد إلحاح، ثم تنحر الذبائح على عتبة الباب، ويسير العريس مع عروسه إلى داخل البيت محجوزين بالشيلان الكشميرية حتى لا يراهما الناس، ثم يستقبلهما العوالم ويسرن أمامهما إلى الكوشة، وهي عرض مزخرف أعد خصيصًا للعروسين.

وفي أثناء ذلك تبدر البدر، وهي عبارة عن نقود ذهبية صغيرة من ذات الخمس قروش، أو فضية من ذات القرش الواحد، يبدرها العريس أو أقارب الزوجين؛ والغرض من ذلك صرف الحاضرات عن النظر للعروسين منعًا للعين.

ويخرج العريس بعد تناول العشاء يحوطه جماعة من أصدقائه يحملون باقتين من الورد، ويتقدمه بعض الأصحاب يحملون الفنايير، ويؤلفون موكبًا يسمى زفة؛ وتسمى الزفة زفة العريس تسير أمامهم الموسيقى، ويسيرون جميعًا إلى المسجد حيث يصلي العريس ركعتين، ثم يعود بموكبه إلى المنزل ويدخل على العروس فيرفع ما على وجهها من نقاب، ويراها لأول مرة، ويجلس بجانبها، وعند ذلك يقدم لهما الشربات ثم يختفيان عن العيون.

أما الزواج في الطبقة الفقيرة فكان وضيعًا؛ فتحمل المشاعل بدل الفنايير والطبل البلدي بدل الموسيقى، والبوظة بدل الشربات والخمر، ويرقص الناس رقصًا بلديًّا أمام المزمار، ويتزاحم الفتوات على

الرقص أمام المزمار، وتمشي العروس في ناموسية بدل الشيلان الكشمير، وتركب التختروان إلى منزل العريس، وربما كان أفخم زواج وأفراح -أفراح الأنجال، والمراد بالأنجال أنجال الخديوي إسماعيل؛ وقد كان في عهد أبيهم إسماعيل، وإلى الآن يسمى شارع المينرة بشارع أفراح الأنجال، وقد زوج إسماعيل أولاده توفيق وحسين وحسن وقد ابتدأت هذه الحفلات بعقد العقد، حضره الوزراء والعلماء وكبار الأعيان في سلاملك القصر العالي، وكان يرأسهم خليل أغا، وهو أغا والد إسماعيل، وهذا ما يدعو إلى العجب، إذ كيف يترأس هذا الأغا على هؤلاء كلهم، ولكن كانت سلطته عظيمة، وهو الذي أشرف على بناء مسجد الرفاعي، وإنشاء المدرسة المعروفة باسمه «مدرسة خليل أغا». وقد ابتدئت الحفلة بالقرآن الكريم، ودخل الشهود على باب العروس المسدول عليه الستار وسألوها: هل تقبلين أن يكون فلان زوجك؟ ولا يزالون يكررون هذا حتى قبلت. ودامت الحفلات أربعين يومًا كاملة، يأكل الحاضرون ويشربون ويهرج الطلبة فيها كما يشاءون، وتنوعت فيها موسيقى الغناء، وغنى فيها عبده الحامولي وألمظ وغيرهما، وأقيمت فيها الملاعب البهلونية وعرض جهاز كل عروس على المتفرجين، من حلي مرصعة بالألماظ، ومفروشات ثمينة وغير ذلك.

والأغوات يستقبلون المدعوات الحريم وتضرب لهن الموسيقى، وكان من المدعوات بعض الأفرنجيات، وكان يستقبلهن بعض من يعرف لغاتهن، وهكذا... وبطلت تلك العادة كلها حتى أصبح العريس يقود عروسه بعد الحفلة البسيطة، فيذهب بها حيث شاء من غير زفة ولا غيرها.

وكلنا نعرف أن الشريعة الإسلامية تجيز تعدد الزوجات في حدود، والعادة أن يمهر الزوج الزوجة، وفي الطبقة الفقيرة يمهرها نحو خمسة جنيهات، والذي يدعو إلى اقتصار أغلبية المصريين على زوجة واحدة هو تساوي عدد الرجال بالنساء تقريبًا.

والطلاق هو حل عقدة الزواج، وهو جائز في نظر المسلمين؛ ومن أسباب الطلاق أنه قديمًا كان الأب بصفته وليًّا يزوج ابنه أو

بنته في الصغر فإذا كبر لم يوافق الزوج هذا الزواج، فأدى ذلك إلى الطلاق، وقلَّ ذلك الآن، ومن الأسباب أيضًا أن تكون المرأة مصابة بعقم أو بمرض شديد، أو أن تخلف بنات فقط، فيستحل الزوج لنفسه أن يتزوج غيرها.

وقد تعاون تعدد الزوجات وملك اليمين على فساد الأسرة والعداوة بين الأولاد من أمهات مختلفة، والرجل الشرقي في العادة حاكم مستبد في بيته، والنظر على المرأة كان نظرًا وضيعًا، وكانت تعتبر أحط منزلة من الرجل إلا في القليل النادر.

وهذا أفسد نفس الأبناء؛ لأنهم لا يجدون جو محبة يسود البيت.

وتعدد الزوجات آخذ في القلة لانتشار العلم، وكثرة الطلاق كذلك آخذة في القلة أيضًا لرؤية الزوجة قبل الزواج، ونفوذ الرجل آخذ في القلة بسبب تعلم المرأة.

زي التعبان يقرص ويلبد: معنى يلبد يختفي.

زي أم العروسة فاضية ومشغولة: تعبير يقال للرجل يشتغل بأتفه الأسباب، وقريب منه قولهم: زي اللي رقصت على السلم، لا شافوها أهل تحت ولا أهل فوق.

زي البدر ليلة ١٤ شعبان: يعتقدون أن أحسن الأقمار قمر شعبان في ليلة أربعة عشر.

زي تنابلة السلطان: التنابلة جمع تنبل، وهو الكسلان المفرط في الكسل، وتنابلة السلطان كسلاء ليس لهم من عمل إلا الأكل والنوم من غير عمل، ويحكون أن السلطان غضب على قوم منهم فأمر برميهم في البحر فركبهم عربة إلى البحر، فأشفق عليهم رجل وقدم لهم أكلًا يحتاج إلى تقشير وغسل، فقالوا: حَنِغْسِل ونقشر وديع البحر.

زي الجوار، كل يوم عند ياسرجي: الجوار، أي الإماء والياسرجي، تاجر الرقيق، تعبير يقال للمرأة الحرة تتزوج ثم تطلق فهي كالجارية تنتقل في أيدي بائعي الأرقاء.

زي خلع الضرس: تعبير يعني أنه صعب كما يخلع الضرس.

زي سبع البرُومْبة: وأحيانًا يقولون، سبع البرومبة، الذي نايم على جنبه، ولا

يقولون الذي إلا في هذا الموضع، وما عداه يقولون اللي، أي أنه نافش منتفخ.

زي المسطول: تعبير يعني متعاطي المنزول.

زي مضغ الزلط: تعبير يعني أنه صعب ثقيل كمضغ الزلط.